الدين وحرية الرأي

وافانا البريد بعدة رسائل من كتاب وادباء الشرق يسألونني فيها عن محاكمة الاستاذ المستر سكوبس الذي قال لتلامذته ان قصة التوراة في منشأ الخليقة لا تطابق الحقيقة وان الانسان والقرد من اصل واحد وترتب على ذلك ان حاكمته ولاية تنسي (احدى الولايات الاميركية المتحدة) وحكمت عليه بغرامة قدرها عشرون جنيهاً وطلبوا مني ان اوفق بين هذا الحادث وما كتبته مراراً عن مبادئ الديموقراطية وحرية الفكر في اميركا وقد اشاروا في رسائلهم الى قضية حضرة الشيخ علي عبد الرازق ووجه الشبه بين الحادثتين خصوصاً لوقوعهما في زمن واحد.

وقد حررت بعض الكتب رداً على هذه الرسائل ولكن ضيق الوقت دون الاجابة عليها — ولما كان الرد عليها جميعاً مستحيلاً وددت لو افسح لي المقطم الاغر مجالاً لشرح حقيقة المسألة كما شرحتها في الجرائد والمجلات الاميركية وما اتخذه من اتجاه الرأي العام الاميركي حيال مثل هذه الحوادث.

حدث منذ عامين ان ولاية تنسي سنت قانوناً يحرم تعليم نظرية النشوء والارتقاء لان في ذلك (في عرفها واعتقاد واضعي ذلك القانون) مفسدة للناشئة وتشويشاً لمعتقداتهم وقد مر سكان اميركا على هذا القانون مرور الكرام لم يبالوا بما جاء به شأنهم في سائر القرارات والقوانين التي تسنها بعض الولايات خصوصاً المتأخرة منها — ولا يخفى ان وضع مثل هذه القوانين الشاذة دليل في ذاته على الديموقراطية الحقة وقوة الرأي العام واطلاق حرية الاقتراع لجميع افراد الامة حتى العامة منهم بلا قيد ولا شرط وذلك لان سكان ولاية تنسي (وهي من الولايات المتأخرة مدنية في اميركا) لهم الحق في سن ما يطيب لهم من القوانين متى كان ممثلوها اغلبية الاصوات مهما كانت تلك القوانين سخيفة او مرذولة او شديدة التعارض مع مبادئ الدستور — واذا حان الوقت لتطبيق هذه القوانين (كما اذا قدمت قضية للمحكمة كقضية

محكمة الاستئناف العليا في وشنطن توفي اعامي بريان وكان الرأي العام اشد حكماً على المحكمة مما كان ينتظر صدوره من محكمة وشنطن فاستحسن المستر كوبس ان يرى قضيته تظل في مرجل الرأي العام وفعلاً شمت باعدائه وتم له ما اراد فقد اصبح القانون موضع السخرية والهزء وراح غير مأسوف عليه ·

وحدث قبل وفاة الاستاذ بريان خصم المتهم انه طلب في جامعة من الجامعات هناك ان يلقي خطاباً على طلبتها في نظرية النشوء والارتقاء التي كان لا يؤمن بها — وفي آخر الخطبة فتح باب المناقشة فاحرجه الطلبة باسئلة في النظرية كان لا يلم بها ولما افحم منهم تغيرت ملامحه وتقطب حاجباه وغارت عيناه وطال انفه وفمه فاصبح يشبه قرداً — وقد علقت صحف فلادلفيا على هذا الحادث انتصاراً لنظرية التحول بقولها « اذا كان في استطاعة طلبة الجامعة ان يخلقوا من الاستاذ بريان قرداً فيعسر على الله تعالى ان يخلق من القرد انساناً »

ولست ادري لم يهلع الناس من نظرية القرد والتحول في النسل ظاهر للعيان · فنظرة واحدة الى الزنوج انفسهم في الازمان الغابرة — كما يتضح مما يعثر عليه من الآثار والبقايا — تبين لنا التباين العظيم بينهم وبين اخوانهم في العصر الحاضر · وامس شاهدت في مجلة عربية صورة لفهر الملك توت عنخ آمون وبجانبها صورة اخرى كتبت تحتها الآنسة منيرة ثابت وبالتأمل في السحنتين خطرت لي نظرية التحول بفرض ان منيرة ثابت مصرية من اصل مصري كفهر توت عنخ آمون · ورأيت في أخرى صورة كتب تحتها الجمال بالنوع واخرى بجانبها الممثلة بربارا الامريكية الشهيرة والفرق بين الصورتين عظيم — وسواء أكان اصل الانسان قرداً ام حيواناً آخر أم مخلوقاً قبيح المنظر · فان الغرض من النظرية النشوء والتحول والارتقاء ·

ولست اريد بذلك ان ادافع عن نظرية التحول وان كنت من الذين يعتقدون بها — انما اردت ان اقول ان كوبس سواء كان مخطئاً ام صادقاً في رأيه فان له حداً لا يجب ان يعتدي عليه احد

امير بقطر
سكرتير الجامعة الاميركية

الجمهور وأمات القائم الى صحبهم ، فذلك الذي [illegible] الى أوائر مصلحة .

وتتلخص حكاية الاستاذ في العبارة الآتية :

المستر كوبس استاذ في مدرسة ثانوية [illegible] — رجل خامل الذكر لا يعرف عنه شيء إلا أنه أحد معلمي الألوف الذين تستخدمهم الولايات المتحدة لمدارسها العالية الابتدائية — كان يدرس علم الحياة لطلبته ويقرر لهم خطأ التوراة عن آدم وحواء ومنشأ الخليقة ولم يكن هذا الأمر الجديد في أميركا — فهو أمر أحد أصدقائه الذين هم من أساتذة المدرسة نفسها [illegible] مع [illegible] كوبس [illegible] دبراً محكماً فقال له انه نقض قانون الولاية وانه يريد [illegible] يقدم [illegible] تمهيداً لما كان [illegible] الى ذلك الحزب من زملائه الذين كانوا [illegible] هذه المناقشات [illegible] رأي المحكمة والرأي العام بشأن ذلك القانون الذي [illegible] .

وما كاد يرفع الستار عن هذه المؤامرة ويقدم الرجل للمحاكمة حتى اهتزت لها الحركة الفكرية من أساسها ونظر سكان الولايات الاخرى الى سكان تلك الولاية (تنسي) بعين السخرية والاحتقار . أما المسألة [illegible] في تلك الولاية في الاستئناف واحداً في أحد وقام القضاء بحماية حرية الرأي في اميركا [illegible] الجمهور [illegible] محامي ذلك [illegible] بعض الاساتذة [illegible] أكبر محامي اميركا للدفاع عن كوبس وتطوع محام آخر هو الاستاذ برايان [illegible] القانون هناك للدفاع عن القانون — ذلك لأنه من حماة العقائد المسيحية الذين يطلق عليهم اسم « الاصوليين » ومن أعداء الطائفة [illegible] الحديثة الآراء وخصمة الجامعات والكليات التي يطلق عليهم اسم « المحدثين » — وما [illegible] عن القسم استهل كلامه بهذه العبارة « [illegible] حضرات القضاة ان [illegible] مطرون أن تطبقوا القانون الذي [illegible] في عقيدة [illegible] القانون [illegible] ارادة الامة [illegible] الاستئناف [illegible] المحكمة واستمر في الدفاع » وهكذا [illegible] القضاء وحكم على كوبس بأقصى العقوبة أي غرامة قدرها مئة ريال . فأيد الحكم القاضي الاستئناف — وبينا كان [illegible] الدعوى امام

فالقوا القبض عليه وساقوه الى السجن . في اليوم التالي اجري استنطاقه وحاول عبثاً تبرئة نفسه وبعد ايام حوكم وحكم عليه بالسجن المؤبد

نشرت الجرائد خبر تلك الحادثة المؤلمة ونقشت على صفحاتها رسم المحكوم البريء وبلغ الخبر الوالدة التعسة فكان لها رزية تدركها افئدة الامهات فقط وجابت المدينة مسترحمة شاكية فلم تقابل دموعها دمعة ولا قابل ذو حنان عواطفها الثائرة بما يخفف نارها في قلبها الوالدي الدامي فعادت كسيرة القلب الى وكرها الصغير تبكي فرخه السجين وغزاله الراحل واقعدها الم نفسها المذيب فلزمت فراشها مودعة بدموعها الهاطلة حياة لما كانت تلك القصة الشديدة عالقة ببابها الاخير

اودع شارل سجناً كان رفيقه الوحيد فيه كهلاً ذا شعور طيب تعود ان يقضي ايام سجنه بصبر عجيب وقد تألم لحال شارل وعطف عليه واخذ منذ اول ساعة يعزيه ويؤمله بالهرب واعداً بمساعدته حتى بات شارل لا يفكر سوى الهرب من سجنه خصوصاً بعد ان علم بمرض امه وقد هاله ان تموت ولا يراها وان يكون هو سبب التعجيل بموتها ولو عن غير قصد

كان رفيق شارل واسمه هوبرت يوصيه دائماً بوجوب الاخلاد الى الهدوء والسكينة مؤكداً له ان حسن سلوكه يحمل رئيس السجن على تعيينه مديراً لاعمال المسجونين وبذلك تطلق حريته ويتيسر له الهرب على اهون سبيل . وهكذا جرى فان شارل كان يشتغل في قسم الماكنات مع عدد من المسجونين وقد شاهد به المفتشون حذقاً في العمل ورأوه حسن السلوك فعينوه مديراً وبعد ايام تمكن من الهرب بان اختبأ في احد الصناديق المعدة للشحن وعند ما اصبح في الخارج كسر الصندوق وهرب والقى يوماً كاملاً في برية مقفرة يأكل من اعشابها وكان الشوق الى مرأى امه يهز اعطافه حتى انه نسي الخطر المحدق به وما قد يجر عليه من الوبال ذهابه الى منزل امه ولما اسدلت ذيول الليل سار الى القرية مسقط رأسه فوصلها عند الساعة الخامسة بعد نصف الليل . وسار الى المنزل وهناك تسلق الجدار الى النافذة فكسرها ودخل الى غرفة امه فالفاها خالية الا من اثاثها القديم البالي ولقي على سرير والدته رسالة موجهة اليه فاخذ يقرأها ويبلل